التداخل المفاهيمي بين اللحن والتنوع اللهجي في التراث اللغوي العربي: دراسة تأصيلية في ضوء مستويات الاستعمال ومقام القول

م.وسن يعقوب عبد الجبار

ا.م.د. حسين ناظري

قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة فردوسي ، مشهد المقدسة ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية

البريد الإلكتروني Email : Wasanjakob83@gmail.com

الكلمات المفتاحية: اللحن، اللهجات العربية، التطور اللغوي، المنهج الوصفي التحليلي، العربية الفصحى.

كيفية اقتباس البحث

عبد الجبار، وسن يعقوب ، حسين ناظري، التداخل المفاهيمي بين اللحن والتنوع اللهجي في التراث اللغوي العربي: دراسة تأصيلية في ضوء مستويات الاستعمال ومقام القول،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Conceptual Overlap Between "Laḥn" (Linguistic Deviation) and Dialectal Variation in the Arabic Linguistic Tradition: A Foundational Study in Light of Usage Levels and Contexts of Speech

Wasan Yaqoub Abdul-Jabbar (Lecturer)*
Asst. Prof. Dr. Hussein Nazeri
Department of Arabic Language, Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad, Holy Mashhad, Islamic Republic of Iran

Keywords : Linguistic error (lahn), Arabic dialects, linguistic evolution, descriptive-analytical approach, Modern Standard Arabic.

How To Cite This Article
Abdul-Jabbar, Wasan Yaqoub , Hussein Nazeri , The Conceptual Overlap Between "Laḥn" (Linguistic Deviation) and Dialectal Variation in the Arabic Linguistic Tradition: A Foundational Study in Light of Usage Levels and Contexts of Speech,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The issue of *al-laḥn* (linguistic deviation or solecism)—its relationship with Arabic dialects and the extent to which they overlap—ranks among the most significant topics that have engaged Arab linguists, both classical and modern. This study examines the origins of this phenomenon—tracing it from early figures like Al-Kisa'i and Al-Zubaidi through to modern scholars such as Ramadan Abd al-Tawwab—while identifying the factors that have sustained it. The study's significance lies in establishing a foundational understanding of the issue by analyzing historical accounts and examining them against early linguistic traditions. It aims to uncover the relationship between the spread of Islam and the prevalence and nature of *al-laḥn* through the systematic tracking and analysis of relevant texts. Adopting a descriptive-analytical approach, the study presents historical texts containing references to the linguistic

dynamics between *al-laḥn* and *al-fuṣḥā* (Standard Arabic). It then analyzes these texts by deriving facts from a precise description of the material, ultimately leading to a set of conclusions. One such instance is the confusion that arose among early linguists between the concepts of *lahja* (dialect) and *lahn* (linguistic deviation or solecism), leading to an overlap between the two. The primary reason for this was the frequent blurring of the boundaries separating them in the scholars' view. Furthermore, the practice of identifying distinct levels of language usage—and subsequently deeming some levels correct while dismissing others as *lahn* or—more often—labeling them as *ʻammiyya* (colloquialism)—was a major factor in perpetuating this conceptual confusion. Linguistic correction served as a form of inquiry into certain dialects; it became evident that many terms previously dismissed as *lahn*—or deviations from Standard Arabic—were, in fact, authentic Arab dialects. This research addresses the overlap between this linguistic legacy and actual dialects, while also elucidating the factors that have sustained this confusion. The language of the Holy Quran differs radically from the language of poetry; it is a record in which all the dialects of the Arabs can be found.

الملخّص

تعد قضية اللحن وعلاقتها باللهجات العربية وتداخلها معها من أهم القضايا التي شغلت علماء اللغة العربية قديما وحديثا، ويعرض هذا البحث لأسباب ذلك منذ النشأة مع الكسائي والزبيدي وليس انتهاء برمضان عبد التواب مع بيان عوامل استمراره، فتنبثق أهمية البحث في التأصيل لذلك انطلاقا من المرويات وإشكالا عليها بما ورد من الأثر، فيهدف البحث للكشف عن علاقة انتشار الإسلام بشيوع اللحن وحقيقته بتتبع النصوص واستقرائها فيتخذ البحث منهجاً وصفيًا تحليليًا في عرض النصوص التأريخية التي وردت فيها اشارات تبين الاتجاه اللغوي بين اللحن والفصحى، وتحليلها فيما بعد باستقراء الحقائق التي انبثقت من وصفها وصفا دقيقًا نتج عنه التوصل الى بعض النتائج منها: إنّ الخلط الذي حصل بين مفهوم اللهجة واللحن لدى علماء اللغة القدامى انجرّ على تداخل هذين المفهومين ويرجع السبب الرئيس في ذلك لتلاشي الحدود الفاصلة بينها في كثيرٍ من الأحيان لديهم، وتشخيص علماء اللغة لوجود مستوياتٍ لاستعمال اللغة وحملهم اختلاف هذه المستويات على صحةِ بعضها وحمل الآخر على أنّه لحن أو تسميته بالعامية في كثير من الأحيان؛ كان سبباً رئيسياً في استمرار الخلط بين المفاهيم. كان التصويب اللغوي شكلاً من أشكال الاستدلال على بعض اللهجات؛ إذ تبين أنّ الكثير من الالفاظ التي حُملت على أنّ فيها لحنٌ مخالف للعربية الفصحى هو في الحقيقة لهجةٌ من لهجات العرب،

فيعالج البحث التداخل الحاصل بين هذا الإرث اللغوي وبين اللهجات مع بيان عوامل استمراره ، وأن لغة القرآن الكريم تختلف جذريا عن لغة الشعر وهي سجل يمكن ايجاد سائر لهجات العرب فيه .

١. المقدمة

لم تكن جهود المشتغلين بجمع اللغة العربية وتقعيدها معزولةً عن رصد حركة تداخلها وتطورها؛ إذ سرعان ما تنبه علماء العربية الأوائل لتنامي قضية لغوية واجتماعية بارزة تمثلت في "اللحن في اللغة"، وقد ارتبطت هذه الظاهرة ارتباطاً وثيقاً بجدلية نشأة اللغة، وآليات تغيرها وتطورها تحت وطأة العوامل الجغرافية والاجتماعية والدينية؛ ممّا فتح الباب واسعاً أمام الخلط المعرفي بين مصطلحات محورية كاللغة، واللهجة، واللحن في الفكر اللغوي والتاريخي .تتبلور مشكلة البحث في حالة التداخل والخلط الحاصل بين الإرث اللغوي القديم واللهجات من جهة، والعربية الفصحى من جهة أخرى، فضلاً عن غياب التأصيل الدقيق لحقيقة نشأة اللحن وعلاقته بظهور الإسلام. وتتجلى المشكلة في فرضية تأريخية مفادها أن هناك مغالاة قديمة وحديثة في نسبة الكثير من الألفاظ اللغوية إلى "اللحن" أو "العامية"، في حين أنها قد تكون لهجات عربية فصيحة مهجورة، أو امتداداً وجذوراً أصيلة للغات حضارات العراق القديمة كالسومرية والأكادية .تنبع أهمية هذا البحث من كونه محاولة علمية للتأصيل لوجود اللهجات بوصفها "لغات" قائمة بذاتها داخل القبائل العربية، ومحاولة فك الاشتباك المفاهيمي بين اللحن واللهجة وعلاقته بلغة القرآن الكريم . وتكتسب الدراسة قيمة مضافة بالتحقق من الجذور التأريخية للحن وتتبع ملامحه في البيئات التي كانت على احتكاك مباشر ودائم مع الأعاجم قبل بزوغ فجر الإسلام. يسعى البحث لتحقيق بعض الاهداف منها : تتبع جذور ظاهرة اللحن تأريخياً بالاستناد إلى النصوص المبثوثة في بطون أمات الكتب اللغوية ، والكشف عن المناهج السلوكية اللغوية التي اعتمدها العرب في تمييز الفصحى واستعمالها سياقياً، وميل بعض الطبقات نحو ما عُدَّ لحناً، و معالجة التداخل الحاصل بين اللهجات والعربية الفصحى، وبيان سريانها جميعاً وفقاً لما يقتضيه "مقام القول". يتخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي باختيار نماذج من أمات كتب لحن العامة، مثل: لحن العامة للكسائي وعرض نص المثال ثم بيان حكم المؤلف القديم ومن ثم نتيجة التحليل اللساني .

١ . ١ .أسئلة البحث

١.ما مفهوم اللحن والفرق بينه وبين اللهجة؟

٢. متى يُصنّف مؤلفو كتب لحن العامة استعمالاً لغوياً ما بأنه "لحن"، ومتى يُثبتون كونه تنوعاً لهجياً ؟

٣.ما أسباب استمرار مرور العربية بذلك مع وجود القرآن بوصفه أساساً لغوياً ؟

٢.خلفية البحث

قد سبق هذا البحث دراسات تتبعت تشخيص اللحن ووصفه والنشأة وأسبابها منها القديم ككتاب ما تلحن فيه العامة للكسائي ت ١٨٩هـ، صدر عن سلسلة كتب لحن العامة، حققها وقدم لها وصنع فهارسها ، الدكتور رمضان عبد التواب(مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، مطبعة المدني ،ط١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٢م) ، والذي يعد من أمات الكتب، فضلا عن كتاب (اصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، و(درة الغواص في أوهام الخواص للحريري (ت ٥١٦ هـ))،واستمر هذا الاهتمام مع ربط التطور اللغوي بالسياق الاجتماعي ككتاب (لحن العامة والتطور اللغوي)للدكتور رمضان عبد التواب (دار المعارف، ط١، القاهرة ، ١٩٦٧ م)، وكتاب د. عبد العال سالم مكرم (ظاهرة اللحن في العربية : أسبابها وآثارها) ، وكتاب د. محمود الربيعي (اللغة العربية في عصر العولمة: دراسة في أخطاء العامة)، وبحث م.م. تغريد محمد صالح (ظاهرة اللحن وأثرها في اللغة العربية) المنشور في مجلة الجامعة العراقية ، العدد ١/٢٧ لسنة ٢٠١١ م .

٣ . لحن العامة: مفهومه، ونشوؤه، وأبعاده الديموغرافية:

اللحن لغةً واصطلاحاً :

اللحن لغةً :

لم يقتصر اللغويون على معنى واحد لمادة (لحن) بل اتسعت دلالته في المعجم العربي لدلالات متعدّدة ؛ إذ جمع ابن منظور مقاصدها البلاغية والتركيبية إذ تتحدد تلك المعاني بحسب بنية الكلمة وسياق استعمالها ؛ لذا يمكن أن تحدد بمجموعة من المقاصد هي :

اللحن (بسكون الحاء) هو إمالة الكلام عن وجهه الصحيح. ويقع ذلك غالباً في الكلام المولَّد لكونه مُحدثاً لم تنطق به العرب العاربة على سجيتها. أي هو الإمالة عن الصواب ، وقد يحمل على انه الفطنة والذكاء يُقال : (لَحِنَ يَلْحَنُ لَحَناً، فهو لَحِنٌ ولَاحِنٌ) (ابن فارس، ١٩٧٩،ج ٥:٢٣٩) إذا فَطِنَ للمقصد وفَهم ما لا يفطن له غيره، ومنه ما رُوي في الأثر عن الإمام الصادق: "إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِنَا فَقِيهًا حَتَّى يَلْحَنَ لَهُ فَيَعْرِفَ اللَّحْنَ" (المجلسي،١٣٦٥، ج٢: ٢٠٨) ؛ أي يفهم القول المُمَال بالتورية أو التعريض، ومنه أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ" (البخاري الجعفي،١٤٢٢، ج٩: ٢٥)؛ أي أكثر فطنةً وقدرةً على إظهار حجته وتوجيهها(الحموي، ١٤١٤هـ : ٢٤).

فيما يقصد بها أيضاً ترك الصواب في القراءة والإنشاد إذ يُطلق اللحن واللحانة على ترك الصواب في تلاوة النصوص المكتوبة أو النشيد ونحوهما، ويرى بعض الباحثين أن وقوع اللحن

في بدايته كان مرتبطاً بقراءة النصوص المكتوبة لا بالحديث اليومي الشفاهي؛ لأن القراءة تتطلب فهم السياق التركيبي والتركيب النحوي للنص.

وقد يعني التنغيم والغناء إذ تأتي الألحان واللحون بمعنى الأصوات المصوغة والموزونة ، فقد يؤدي تغيير التنغيم في تلاوة الشعر إلى الوقوع في الإقواء أو الخروج عن الوزن المألوف لمراعاة المقام المغنّى(ابن منظور الانصاري ،١٤١٤هـ: ١٨٣)، ومنه قول الحارث بن حلزة:

آذنتنا ببينها أسماء رُبَ ثاوٍ يملُ منهُ الثواءُ (الزوزني، ٢٠٠٢م ، ٢٦٩)

اللحن اصطلاحاً :

استقر اصطلاح النحاة واللغويين على أنّ اللحن هو مخالفة الإعراب وصرف الكلام عن أصوله وقواعده المشهورة، وقد اقتصر وقوعه في الاصطلاح على القول دون الفعل؛ فلا يقال في العربية: "لحن فلان في فعله"، وإنما "لحن في قوله" (العسكري، هـ١٤١٢: ٥٥) وله مظاهر في الاستعمال منها استعمال اللحن في الشذوذ عن القواعد المتبعة، كإتيان الشاعر بما يخالف المشهور لمراعاة القافية أو الروي، كقول الشاعر:

" عَلَى أَحْوَذِيَّيْنِ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةً ... فَمَا هِيَ إلاَّ لَمْحَةٌ وتَغِيبُ " (الاشموني، ١٩٩٨م ،ج١: ٦٨)

حيث وردت "أحوذيين" بفتح نون المثنى على لغة شاذة لبعض العرب، ومثل هذا الخروج قد يوقع القارئ في اللبس بين صيغتي الجمع والتثنية إن أُغفل التوجيه النحوي فيه .

أسباب نشوء لحن العامة :

نشوء اللحن وعلاقته بالإسلام والفتوحات :

تباينت الآراء حول التاريخ الدقيق لظهور اللحن؛ إذ ذهب فريق من الإخباريين والمؤرخين (منهم الرافعي) إلى أن اللحن لم يكن له وجود في لسان العرب قبل الإسلام، وأن ظهوره كان نتيجة مباشرة للفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بالأعاجم (كالحبشة والفرس) ودخولهم في الإسلام، مما أدى إلى غلبة اللكنات غير العربية وتأثر اللسان العربي بها ،فيرى أنّ اللحن الذي هو الزيغ عن الإعراب، والذي ما كان للعرب منه شيء قبل الاسلام لكنه حدث نتيجة اختلاط الأسود والأحمر في الاسلام متمثلا بدخول بلال–رضي الله عنه . الاسلام وهو حبشي وسلمان– رضي الله عنه– وهو فارسي، فغلبت لكناتهم على العربية، وما كان لعربي أن يأخذ لسانه لحنا في القرآن على اختلاف لهجاتهم، فهو مدرك لها بأصالة الفطرة لديه (الرافعي،١٣٦٥هـ: ١٥٢).

إلا أن هذا الطرح حظي بنقد واسع من قبل المحققين، بخاصة بعد ظهور ادعاءات الاستشراق كما عند المستشرق "فولرز" (فولرز،١٩٠٦: ١١٥–١٣٠) التي زعمت أن القرآن الكريم نزل بلهجة مكية مجردة من الإعراب، وأن الإعراب نظام أقحمه النحاة لاحقاً. وقد تصدى لهذه

الدعوى المستشرق "نولدكه"، أثبت فيها أن الإعراب ظاهرة أصيلة في اللسان العربي والقرآن الكريم، وأن ما حدث لاحقاً لم يكن سوى طروء للّحن والتحريف على ألسنة العامة نتيجة الاتساع العمراني والاجتماعي. ولا صلة للنص القرآني بهذا من بعيد أو من قريب، حتى أن ابن سيرين قال: "إن هذا الأمر دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"(الخطيب البغدادي، ١٩٧٤ م ، ١٥) ،وعليه يمكن تمييز مسارين أساسيين في دراسة الظاهرة:

الأول : ثبوت أصل اللحن والتعرّف على وجوده في لغة العرب وأساليبهم الحوارية.

ثانياً: التمايز بين فئتين :لحن العامة (الذي يمس أصول الإعراب) ،ولحن الخاصة (الذي يتعلق بالعدول البلاغي أو الخروج النادر عن المشهور).

البُعد الديموغرافي والجغرافي لنشوء اللحن

يعد المفهوم الديموغرافي والاقتصادي للاحتكاك الحضاري المفتاح الأساس لتفسير ظهور اللحن وتفاوته بين الأقاليم، فمن هم العرب حتى يحكم لهم بالفصاحة وسلامة السليقة، لينسب لسواهم العجمة ويقذف بتهمة اللحن؟ ، ومن هم العامة الذين نُسب لهم اللحن، وفيم يفرقون عن الخاصة الذين اختلف لحنهم عن العامة؟ يمكن إيجاز ذلك عبر اطروحتين رئيسيتين:

الأطروحة الأولى : التعدد الحضاري والتراكم اللغوي :

تبيّن الخارطة التأريخية لشبه الجزيرة العربية وما جاورها من حواضر (كبلاد الرافدين والشام) وجود تداخل قبلي ولغوي قديم سابق للإسلام، إذ عاشت في بلاد الرافدين أقوام نبطية استوطنت المنطقة، وهم يختلفون عن أنباط الشام؛ إذ تشير بعض المصادر التاريخية إلى نسبة نبط العراق إلى سام بن نوح عليه السلام، بعد أن وفد أحد أبنائه إلى أرض بابل فولد له "نبيط" وهو أبو النبط (الكاتب، ١٣٥٨ هـ: ١:١١٩). بينما ورد عن الإمام جعفر الصادق –عليه السلام– أن نسبهم يرجع إلى النبطي من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام، موضحاً أن النبط فريقان: نبط الماء والطين، وقوم استنبطوا العلم والماء (ابن منظور، ١٩٩٣ م ، ١١٢). وتُعضد ذلك روايةٌ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام– يذكر فيها نسبهم بقوله إنهم نبط من "كوثى" (الهاشمي البصري، ١٩٩٠ م ،٣١–٣٢) وهي المنطقة المسماة بـ "كودوا" بالسومرية وتعرف حالياً بـ "تل إبراهيم" ببابِل، والمظنون أنها مولد النبي إبراهيم عليه السلام.

ويتضح من ذلك وجود جذور ونسب تاريخي يربط قريشاً بأرض العراق؛ وعلى الرغم من أن قسماً كبيراً من سكان العراق كانوا من النبط العرب، إلا أن المصادر التاريخية تذكر أن لغة نبط العراق كانت الآرامية. ومع ثبوت تعدد الحضارات والقبائل في العراق، فإن البحث يأخذ بمبدأ التغليب المنهجي لتأكيد أن تحدث النبط بالآرامية أثبت أن انتماء الفرد للعرب لم يكن مقترناً بشرط

التحدث بالعربية الفصحى حصراً. وربما يعود ذلك إلى طبقية لغوية واستعمالية؛ حيث تحدث الناس بلغة عامية بسيطة في حياتهم اليومية دون تكلف، بينما إذا أرادوا نظم الشعر، أو الحضور في المحافل الاجتماعية والسياسية، أو كتابة الرسائل الرسمية، أتقنوا العربية المعربة بأحكامها وتصريفها.

وقد ترتب على هذا التعاقب الحضاري (السومري، والأكادي، والآرامي) في بلاد الرافدين وجود حالة مما يعرف بـ (الازدواجية اللغوية)؛ حيث استخدمت الشعوب ألسنتها اليومية للتعامل المباشر وقضاء الحوائج، بينما احتفظت بالعربية الفصيحة وأساليبها الملتزمة بالإعراب للمقامات الرسمية والخطابية ونظم الشعر، ودليل ذلك استمرار ورود مفردات مقترضة من حضارات قديمة في الاستعمال اليومي، كاستعارة مفردة (شام) الأكادية بمعنى (اشترى/سام).

إن ثبات التعايش الحضاري المتعدد في شمال العراق ووسطه وجنوبه، وما فرضه ذلك من تنوع لغوي فرضته طبيعة السلطة الحاكمة. فالحضارات تتكون من شعب وسلطة، وبزوال السلطة يبقى الشعب حاملاً لرصيده اللغوي مع التكيف مع قوانين السلطة الجديدة. وهذا التعاقب أدى إلى مرونة لغوية ذابت فيها المفردات وتنوعت التراكيب بين الفئات الشعبية الكادحة والتجار دون تكلف بالتدقيق اللغوي. ويستدل على ذلك ببابين:

الأول: استمرار استعمال الألفاظ الحضارية القديمة عبر الأجيال إلى اليوم، مما ينفي دعوى أن الفصاحة كانت مطلقة وأن اللحن طرأ فجأة بالفتوحات. ومن ذلك استعارة اللغة السومرية لمفردات أكدية سامية مثل كلمة (شام) بمعنى (اشترى) التي تطابق العربية (سام يسوم)، فضلاً عن استعارة المقاطع الصوتية مثل المقطع (id) المأخوذ من كلمة (يد) (باقر، ٢٠١٢ م :١: ١٧٤).

الثاني: أن أول ذكر لتسمية "عرب" في التدوين التاريخي ورد في مدونات الملك الأشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) ضمن سجلات الحروب مع القبائل العربية (باقر، ٢٠١٢). ولما كانت الحضارة الأشورية تتمركز في شمال العراق وشماله الشرقي، فإن ذلك يثبت العُمق التاريخي لانتشار القبائل العربية واحتكاكها المباشر بالأقوام المجاورة. وعلى الرغم من انتمائها لأسرة لغوية واحدة (اللغة الأم)، إلا أن الدراسات التاريخية فصلت أحياناً بين التطور اللغوي والرسالات السماوية التي تنزل بلسان القوم لتهذيب لسانهم وتدوين تشريعاتهم، كما حدث في عبرية "المشنا" التي كتبت بلغة دينية تعبدية بينما كانت الآرامية هي لغة الحياة اليومية السائدة (الضامن، ١٩٩٠ م : ٣٣).

الأطروحة الثانية: ناقشت هذه الأطروحة نظرية الاختلاط بالأعاجم؛ فلو كان الاختلاط هو السبب الوحيد والاطرادي للحن، لكان ينبغي أن تزداد الدخائل اللغوية بمرور الزمن وتخلو المدن النائية عنه. غير أن الواقع التاريخي يثبت عكس ذلك؛ فقد ذكر الأصمعي أنه أقام فترة بالمدينة المنورة ومكة المكرمة –وهما أبعد المدن عن العجمة والاختلاط الإثني– ومع ذلك لم يرَ فيهما قصيدة واحدة سلمت من التصحيف أو الصنعة والنقص اللغوي، ولم يشتهر فيهما نحوي أو لغوي مبرز (السيوطي، ١٩٩٨ م :٤١٣:٢). وهذا يثير التساؤل المنهجي: من أين تسربت الصنعة والضعف إلى أشعار أهل مكة والمدينة إن كان الاختلاط بالأعاجم هو العلة الوحيدة للحن؟ ولمَ لم تُنشأ فيهما مدرسة لغوية تصوب خطأ الفريقين كما حدث في البصرة والكوفة؟ وهو ما يؤكد أن ظاهرة اللحن أعمق من مجرد الاختلاط الطارئ، بل هي مظهر من مظاهر التطور اللغوي والديموغرافي المتأصل.

٤. علاقة اللحن بنشوء مدرستي البصرة والكوفة

تطرح نشأة النحو العربي واعتناء علماء الحواضر بتقعيد القواعد سؤالاً منهجياً حول الدافع الأساس لتأسيس مدرستي البصرة والكوفة؛ فهل كان الغرض المحوري تشخيص الانحراف اللغوي وسد ثغراته في ألسنة السكان محلياً، أم أن الأمر يتجاوز حدود الأقاليم ليشكل استجابة لظاهرة اجتماعية أعمق؟

ويتصل بهذا التساؤل الموقف من فصاحة أهل مكة؛ إذ كانت مكة المكرمة قبلة للعرب ومحط رحالهم ومقصداً للحج والتجارة، وكانت أسر قريش تسير رحلات تجارية موسمية إلى الشام واليمن، مما جعلها في احتكاك دائم ومباشر مع مختلف القبائل والأقوام المحيطة التي تسرب إليها اللحن. ورغم هذا التداخل العمراني والتجاري، تطرح الأدبيات اللغوية تساؤلاً مركزياً: كيف احتفظ أهل مكة باللسان الفصيح؟ ولماذا لم تتبلور في مكة حركة تدوين مبكرة أو مدرسة نحو تقوم ما اعوجّ من كلام العرب، على غرار ما شهدته البصرة والكوفة؟

إن تعليل نشوء مدرستي البصرة والكوفة بالحاجة الماسة لصيانة اللسان العربي عقب تسرب اللحن يُواجه بفرضية عدم نشوء حركة تقعيدية ممثلة في الحجاز، حيث لم تسجل المدونات الطليعية بروز مراكز تدوين نحوية كبرى هناك حتى مراحل متأخرة (السيوطي، ١٩٩٨ م :٤١٣:٢). ويقود هذا التباين إلى إعادة الاعتبار لحقيقة أن العربية الفصحى لا يمكن احتكارها أو نسبتها بحصر مطلق إلى مدينة أو قبيلة بعينها، خلافاً لما شاع في بعض المدونات التراثية من اقتصار أخذ اللسان عن البدو دون الحضر.

ومما يعضد هذا التوجه الشمولي ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته يوم فتح مكة: «إن العربية ليست بأب والد، ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله فلم يبلغ رضوان الله حسبه» (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٢١: ١٣٧). ويؤسس هذا النص المعيار الأكاديمي والشرعي المعتمد؛ إذ ينفي النظر إلى اللسان بوصفه امتيازاً عرقياً أو جغرافياً، بقدر ما هو وسيلة للتبيان. وعلى هذا، فإن مساعي حفظ القرآن الكريم وصيانة اللسان من الخطأ كانت غاية أساسية، غير أن ظروف المدن والحواضر السياسية والفكرية أسهمت في إبراز جهود مدونات وتهميش أخرى.

٣. ٣. ٤. الأطروحة الثالثة: البُعد الطبيعي والاجتماعي لنشوء اللحن:

تنطلق هذه الأطروحة من الموازنة بين شمولية الاختلاط السكاني وبين استمرار اللهجات العامية في الحياة اليومية؛ فإذا كان الاختلاط حافزاً لتأسيس المدارس النحوية واستقصاء شواهد أفصح القبائل، فما السر في استمرار الاستعمال العامي وتجذره بين السكان رغم وجود الضوابط التعليمية والنحوية؟

يُرجع التحليل اللساني الحديث والاجتماعي هذه الظاهرة إلى طبيعة الاستعمال البشري للغات، والمتمثلة في الميل الفطري نحو التخفيف، والسرعة، والايجاز، مما ينعكس على البنية التركيبية والصرفية للقول. وبناءً عليه، فإن نشوء اللحن لم يكن وليد الفتوحات الإسلامية فحسب، بل هو امتداد لظاهرة لسانية طبيعية تميل نحو تقبل المستحدثات وتطوير مستويات الحديث الشفاهي.

ولم تفلح حلقات الدرس الممتدة لقرون في منع الألسنة من استيعاب الألفاظ الجديدة وصهرها؛ فالكثافة السكانية في مدينة مثل البصرة –والتي ضمت أحياءً قبلية وأفراداً من أصول متعددة– تجعل التأثير الاستعمالي متبادلاً بين الغالبية والمجموعات الوافدة.

وتشير المرويات التاريخية إلى شيوع اللحن في مرحلة مبكرة؛ ومن ذلك ما رُوي عن تأسيس النحو عندما أشار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على أبي الأسود الدؤلي بقوله: "إني سمعت في بلدكم هذا لحنا كثيرا فاحشا فأحببت أن أرسم كتابا من نظر إليه ميز بين كلام العرب وكلام هؤلاء فابن على ذلك" (الشيخ المفيد، ١٩٩٣، ٩١). ويكشف هذا الشاهد عن حضور الظاهرة في البيئة الاجتماعية في وقت مبكر من الصدر الأول للإسلام.

يتضح مما تقدم أن اللحن لم يتحدد في بدايته بقبيلة بعينها أو إقليم جغرافي محدد، بل ارتبط بـ الكثافة السكانية وطبيعة الاحتكاك اليومي. فبينما اتسمت حياة البادية بقلة المفردات الاستعمالية اليومية لقلة التداخل الاجتماعي، فرضت الحياة الحضرية في المدن وتنوع المهن تبادلاً واسعاً للمفردات وتطويراً مستمراً للعبارات (الزبيدي، ٢٠٠٠ م ، ٥٩).

وقد انعكس هذا التطور في تساهل الاستعمال اليومي وتوليد لهجات محلية خفيفة تبدل بعض الحروف وتغير الحركات الصرفية استجابة لمقتضيات التواصل، على نحو يشبه النشوء الأول للتنوع اللهجي بين القبائل العربية.

وقد تنبه الجاحظ لضرورة فهم الاستعمال العامي ودوره في إيصال المعاني في مقامه الشفاهي، مشيراً إلى أن نقل أساليب العامية وألفاظها المبتذلة إلى قالب الإعراب الفصيح يغير صورتها ونظمها المعنوي المراد في حكايتها (الهاشمي ،٢٠١٩م :١٤٢). كما رصد الزبيدي (الزبيدي، ٢٠٠٠ م ، ٥٩) تسرب بعض التراكيب العامة وشيوعها على ألسنة الخاصة والشعراء والكتّاب في محافلهم، مما دفعه للتأليف في تصويبها وبيان الصواب فيها.

٥. اللهجة وعلاقتها باللحن واللغة

. اللهجة لغةً :

تفيد المادة المعجمية لـ (لـ هـ ج) معنى طرف اللسان أو جرس الكلام؛ يُقال: "فصيح اللهجة" أي فصيح اللسان واللغة التي جبل عليها واعتادها (الفراهيدي، ١٩٩٣، ج ٣، ٣٩١). وأضاف ابن فارس (ابن فارس ، ١٩٧٩ م ، ج٥: ٢١٥) ، والفيروزآبادي (الفيروزابادي ، ٢٠٠٥ ،ج ١:٢٠٦) أن المادة تحمل أصلين؛ أحدهما يدل على الملازمة والمثابرة، والآخر يدل على المخالطة؛ وسميت لهجة لأن الفرد يلهج بلسانه وما اعتاده من الكلام.

اللهجة اصطلاحاً:

تُعرّف اللهجة اصطلاحاً بأنها مجموعة من الصفات اللغوية التي تشترك فيها بيئة اجتماعية أو جغرافية محددة، وتكون جزءاً من نظام لغوي أوسع يُسمى "اللغة"؛ فالعلاقة بينهما هي علاقة الخاص بالعام (أنيس، ١٩٩٢ ،١٦). وتُمثل اللهجة المستوى المنطوق أو المحكي الذي يستخدمه عامة الناس في حياتهم اليومية (معروف، ٢٠٠٧، ٥٥).

وتتفرع اللهجة عن اللغة المشتركة مع احتفاظها بخصائصها العامة، بينما تنحصر الاختلافات في بعض الفوارق الصوتية أو التركيبية؛ مثل "عنعنة تميم" و"فحفحة هذيل"، وهي الخصائص التي جعلت قدامى اللغويين يطلقون لفظ "اللغة" على "اللهجة" (ابن فارس، ١٩٧٩ م ، ٥٦).

وتتبثق علاقة اللهجة باللحن من كون أي انحراف يستحدثه جماعة في زمن محدد يخالف النموذج المعياري قد يُعد "لحناً" في بداية أمره، ثم يتأصل بالتداول والاستعمال ليتحول إلى خبيئة لهجية تعبر عن البيئة والمجتمع.

غير أن المعاجم القديمة لم تعتنِ بتتبع التطور الدلالي أو الصوتي للمفردات الاستعمالية، بل تركز جهد أصحابها على جمع مادة اللغة المعيارية وصيانتها، وعدّوا ما يخالف ذلك من باب "المولد" أو "اللحن". ولم يتجه المؤطّرون لـ "لحن العامة" إلى تعليل النشأة أو التحول اللغوي إلا في مواضع نادرة؛ كتعليل الزبيدي لإبدال الجيم شيناً في قوله (اشترت الدابة بدلاً من اجترت) بقرب المخرج الصوتي (الزبيدي، ٢٠٠٠ ، ١٩٤).

كذلك وردت لفظة اللحن لدى سيبويه (سيبويه ،١٩٨٨: ٣٩٧:٢) مرادفة لمفهوم الخطأ ومخالفة الصواب، دون التأسيس لدرس يدرس التطور اللغوي التاريخي، مما أدى إلى انقسام النشاط اللغوي حينها إلى مسارين:

١.مسار النحاة واللغويين: المنشغلين بوضع القواعد والاحتجاج لها وإثبات صوابها.

٢. مسار عامة الناس: المستمر في قبول التغيير والتطور اللغوي على ألسنتهم عبر أشكال التسهيل واللحن والتوليد.

١. ٤. ٣. نشأة الدرس اللغوي وتدوينه:

يقود تتبع حركة التدوين الأولى في منتصف القرن الأول الهجري إلى إدراك وجود اتجاهين في التعامل مع كتابة العلوم وتدوينها؛ إذ شهدت تلك المرحلة نشاطاً في التدوين لدى فريق، مقابل تحفظ فريق آخر لأسباب وسياقات متباينة (ابن كثير، ١٩٨٨ م ، ج٨ :١٠٨-١١٢). وقد رُوي عن الزهري (ت ١٢٤ هـ) قوله: "كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه السلطان، فكرهنا أن نمنعه أحداً"(الدارمي، ١٩٩١، ص ٣٩٢).

وقد أسهم هذا التريث المبكر في تثبيت الانطباع بأن التدوين المنهجي والتبويب لم يكتمل إلا في مراحل لاحقة (الخطيب البغدادي، ١٩٨٣ م ، ج٢ : ٢٨٠). غير أن استقراء النتاجات المبكرة – كالتأليف في السيرة، وغريب الحديث، والكتب المتخصصة مثل :كتاب الخيل لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ)– يثبت وجود منهجية علمية مبكرة ووعي بالتصنيف الموضعي، مما مهد الطريق أمام نشوء التدوين النحوي والمعجمي المتخصص وصيانة اللسان العربي.

٥. علاقة التدوين باللحن والتنوع اللهجي :

تُشير الأدبيات اللغوية والتاريخية إلى وجود اتجاهين متمايزين في مسار تدوين العلوم وتوثيقها في التراث العربي والإسلامي؛ حيث يُظهر المسار الأول خطاً متصلاً ومبكراً في تدوين العلوم وسد الثغرات اللغوية والدينية، امتداداً للروايات التأسيسية المنسوبة للصدر الأول، كالمرويات المرتبطة بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتوجيهاته لأبي الأسود الدؤلي في تقسيم الكلام لوضع أصول لسانية تحمي اللسان العربي من طروء اللحن (الزجاجي، ١٩٨٦). وتُعد هذه

المرويات عند بعض الباحثين مؤشراً على دراية مبكرة بصناعة الكتب وتبويب العلوم لصيانة الاستعمال اللغوي.

وفي المقابل، يُسجل التاريخ حركة تحفظ وتذبذب تجاه كتابة العلم وتدوينه في مراحل مبكرة لدى اتجاه آخر؛ استناداً إلى القرارات المنقولة عن السلطة السياسية والدينية في عصر الصحابة بمنع الكتابة وتدوين غير القرآن الكريم خشية الاختلاط والتشتت (الخطيب البغدادي، ١٩٧٤ م ، ٢٠-٥١). وقد انعكس هذا المنع المبكر على حجم المدونات اللغوية والدينية الواصلة، حيث تُعد مخطوطة كتاب *غريب الحديث* لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) المحفوظة في جامعة ليدن والمؤرخة سنة ٢٥٢ هـ من أقدم المخطوطات العربية المتبقية ورشياً (Leiden University Library, MS. Or. 298).

وقد أدت الأحداث والتقلبات السياسية والحوادث التاريخية التي شهدتها المدن الإسلامية في القرن الأول الهجري إلى ضياع شريحة واسعة من المكاتبات والوثائق المكتوبة، مما أوجد فجوة بين الممارسة اللغوية الشفاهية وبين الرصد التقعيدي المدون.

ورغم الجهود النحوية المعيارية المستمرة، إلا أن ظاهرة اللحن واصلت اتساعها وشيوعها بين المكونات الاجتماعية، مما يطرح فرضية أن اللحن لم يكن مجرد انحراف خطائي، بل كان شكلاً من أشكال التطور الصوتي والتركوبي للهجات.

٦. نشأة اللهجات العربية ولغة التخاطب المشتركة:

ينشأ التنوع اللهجي اجتماعياً وجغرافياً نتيجة التداخل القبلي والهجرات المتبادلة الناجمة عن الظروف الطبيعية والاجتماعية؛ حيث أدى اندماج البطون والقبائل -قحطانية وعدنانية- إلى توالد اللهجات وتطور مفرداتها الصرفية والصوتية (ابن خلدون، ١٩٨١؛ ١٩٨١ م، ٢:٨٤).

ويتجلى هذا التنوع عند الموازنة بين النصوص الشعرية والنثرية في العصر الجاهلي؛ إذ يلاحظ الباحثون -ومنهم طه حسين (حسين ،١٩٢٦م ، ٤٢)- أن المخطوطات والنقوش القديمة تُظهر تبايناً ين المكونات اللغوية في جنوب شبه الجزيرة وشمالها، بينما تجيء المعلقات للشعراء الذين ينتمون لقبائل متعددة (ككندة وربيعة) على مستوى واحد من النظم والتركيب والبناء الإعرابي.

وتُفسر المناهج اللسانية الحديثة هذه الظاهرة بثلاثة احتمالات رئيسة:

١. عدم وجود فروق لهجية في البيئة القبلية (وهو احتمال تنفيه شواهد النصوص المعجمية وقصص التفاهم اليومي).

٢. انتحال الشعر وتوحيد لغته في مرحلة تدوين متأخرة بعد الإسلام.

٣. اعتماد الشعراء لغة مشتركة أو "لساناً معياريّاً موحّداً" يتجاوز الخصائص المحلية الصرفة للقبيلة طلباً للانتشار والذيوع في الأسواق والمحافل الموحدة كعكاظ (حسين، ١٩٢٦م ، ٤٤-٤٥).

تترجح الأطروحة الثالثة أكاديمياً؛ حيث تشير إلى وجود مستويين لغويين لدى العرب قبل الإسلام:

المستوى اللهجي المحلي (الخاص): المستخدم في شؤون الحياة اليومية داخل القبيلة.

المستوى المعياري الموحد (العام): المستخدم في الخطابة، الشعر، والمكاتبات الرسمية، وهو اللسان الذي نزل به القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

ويمكن تفصيل كل ذلك بفرضيات :

١. فرضية الوحدة اللهجية (اللغة الأدبية المشتركة):

ذهب الفريق الأول إلى تبني فرضية وجود "لغة فصحى موحدة مشتركة" تعالت فوق الفروق اللهجية المحلية للقبائل العربية. وبحسب هذا التصور، كانت هذه اللغة نظامًا فنيًا معياريًا يتوسل به الشعراء في المحافل والأسواق الكبرى كـ "عكاظ". وتعد أطروحة طه حسين (حسين ، ١٩٢٦ :٦٣-٧٥) المتطرفة في شكّها من أبرز المواقف الفكرية المغذية لهذا الاتجاه، حيث جادل بأن التطابق اللغوي التام بين شعر القبائل العدنانية والقحطانية لا يمكن تفسيره لسانيًا إلا بكون هذا الشعر مصنوعًا ومنحولًا بعد الإسلام صِيغ بلسان قريش المعياري لخدمة سياقات دينية وسياسية. وقد وافق المستشرق مرجليوث هذا الطرح في افتراض أحادية وعاء الشعر الجاهلي المعياري.

٢. فرضية تعدد المستويات اللغوية والأدبية:

في المقابل، برز اتجاه نقدي لساني يرفض أحادية التفسير الصارمة، ويرى أن الفصحى لم تكن نمطًا مصمتًا، بل منظومة مرنة تتعدد مستوياتها وتتسع للتنوع اللهجي. قاد هذا الرد المنهجي ناصر الدين الأسد (الأسد ، ١٩٥٦م ، ٣٤٥-٣٥٨)، الذي أثبت عبر توثيق دقيق لروايات الشفاهية والتدوين أن الفصحى المشتركة لم تُلغِ الخصائص اللهجية المحلية (كالعنعنة والكشكشة والشنشنة)، بل إن الكثير من هذه الفروق اللهجية تسربت إلى الأوزان الشعرية والبحور (وخاصة الرجز). ومن ثمَّ، فإن "الفصحى" بحسب هذا الفريق تمثل طبقة لغوية عليا مشتركة للأدب، لكنها متصلة عضويًا ببيئاتها اللهجية المحلية وليست مصنوعة في بيئة واحدة.

٣. التوثيق النقشي واللساني وموازنة الطرح:

لموازنة هذين الطرحين، تقدم الاكتشافات الأثرية والنقشية في شبه الجزيرة العربية (مثل نقوش دادان، وثمود، والصفائية، ونقش النمارة) ، تُظهر دراسة وتحليل النقوش المكتشفة في واحة دادان (العلا) والخطوط الثمودية المنتشرة في شمال الجزيرة ووسطها معطيات لسانية بالغة الأهمية:

* التنوع الخطّي والمورفولوجي: كشفت نقوش دادان وثمود عن وجود تنوع واختلاف كبيرين في أدوات التعريف (مثل استعمال "أم" أو "أل" أو التنعيم بـ "الهاء" الدادانية) وفي البنى الصرفية للأفعال والأسماء، مما يُثبت لسانيًا أن البيئة الجاهلية كانت تعج بـ التعدد اللغوي والتماس الحضاري الممتد (عبد التواب ،١٩٩٧م :١٠٣-١١٥).

* تفكيك السببية الأحادية: هذه الاكتشافات تدعم الطرح المتزن القائل بوجود مستويين للقول: مستوى الاستعمال اليومي المحلي الموثق في النقوش (وهو متعدد ومتباين جغرافياً وبنيوياً)، ومستوى الأداء الفني العالي (الشعر) الذي كان يجنح نحو التوحيد الفني دون الانفصال عن الأصول اللهجية. وبذلك تفكك الشواهد الأثرية دعوى الانتحال القائمة على "السببية الأحادية"، وتثبت أن الوحدة الفنية للشعر الجاهلي لم تكن تلفيقاً بعد الإسلام، بل نتاج نضج تدريجي تراكمي لألسنة العرب وتفاعلها (عبد التواب ،١٩٩٧م :٥٥ -٧٢). .

٦. المفاهيم اللغوية:

"اللسان"، "القول"، و"اللغة" في النص القرآني:

تُظهر الدراسة المفهومية المعجمية أن القرآن الكريم اعتمد مصطلح **(اللسان)** للدلالة على الأداة الجامعة للتواصل اللغوي، كقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. في حين لم ترد لفظة **(اللغة)** بمفهومها الاصطلاحي الحديث في النص القرآني، وإنما وردت مشتقات جذرها (لـ غـ و) للتعبير عن فضول الكلام أو باطله، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقوله في الحديث الشريف: «من قال في الجمعة والإمام يخطب: صه، فقد لغا» (العسقلاني، ١٣٢٧ هـ).

في المقابل، يتكرر الجذر (قـ ول) ومشتقاته في القرآن في أكثر من (٨٠٥) مواضع للتعبير عن المضمون الإبلاغي المفيد والتواصل المفهومي، بفرق دقيق بين القول والكلام والكلمة (ابن عقيل، ١٩٨٠ م ، ١: ١٢-١٦). وعلى هذا الصعيد، ينصرف لفظ "اللغة" في استعمالات اللغويين القدامى إلى معنى اللهجة الخاصة بقوم محددين ؛ كقولهم: "وهذه لغة بني تميم" للتعبير عن نمطهم اللهجي، في حين تعبر جملة "قالت العرب" عن اللسان المعياري المشترك (الفراهيدي، ١٩٩٣م ، ج٨ :٣٢٥).

٧. وحدة النص القرآني والألفاظ الوافدة (المُعرّب):

تؤكد الروايات اللسانية المقبولة لدى جمهور العلماء أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي جامع على حرف واحد من عند الواحد (الكليني، ٢٠٠٧ م ، ج٢ : ٦٣٠)، مما ينفي اقتصاره الفردي على لهجة قبيلة بعينها دون غيرها، ويؤكد إعجازه لجميع المكونات العربية.

أما ما أورده المفسرون واللغويون من نسبة بعض الألفاظ الواردة في القرآن إلى قبائل معينة – ككلمة ﴿صَدَفَ﴾ القرشية بمعنى أعرض [الأنعام: ١٥٧]، أو ﴿إِمْلَاقٍ﴾ اللخمية بمعنى الجوع [الأنعام: ١٥١]– فتعليله الأكاديمي أن هذه المفردات كانت جزءاً من الرصيد المعجمي الشامل للسان العربي المشترك (القرطبي، ١٩٦٤ م ، ج١:٦٨– ٦٩) ، واستعملتها بعض القبائل بكثرة في خطاباتها اليومية ؛ الراجحي، ١٩٩٦ م، ٥٢–٥٥).

وفيما يتعلق بالدراسات التي تناولت الألفاظ ذات الأصول غير العربية (المُعرّب) في القرآن –كـ "الطور" و"القسطاس"– فقد انتهى جمهرة اللغويين والعلماء إلى أن ورود مثل هذه المفردات المحدودة لا يخرج النص القرآني عن كونه كتاباً عربياً أصيلاً (الزركشي، ١٩٥٧م ، ج١: ٢٨٥)؛ إذ طُعِم بها اللسان العربي وتمثلها في نظمه الصرفي قبل نزول القرآن حتى أضحت جزءاً من لسانه المبين.

وقد رد المحققون الأطروحات الاستشراقية التي أحالت مئات المفردات القرآنية إلى أصول عجمية (Jeffery, 1938 ,43)؛ إما لكون الغالبية العظمى من المادة المحصاة تعود لجذور عربية أصيلة أصابها التطور الدلالي، أو لكونها أسماء أعلام لا تُترجم (كإبراهيم، وموسى، وعيسى) (الطباطبائي، ١٩٩٧ م، ١٢: ٣٤٨) ، والتي تشترك فيها مختلف اللغات الإنسانية ولا تخل بعروبة النص أو فصاحته (السيوطي، ١٩٩٨م،ج١:١٦٥).

النتائج :

خَلَصَتْ هذه الدراسة إلى جملةٍ من النتائج العلمية المحورية، يمكن إجمالُها في النقاط الآتية:

١. مرونة المفهوم الدلالي للحن: أظهرت الدراسة أن مصطلح "اللحن" في الفكر اللغوي العربي لم يتسم بدلالة معجمية أو اصطلاحية جامدة، بل تميز بالديناميكية والتغير تبعاً للسياق اللغوي والاجتماعي. كما تبين أنه يمثل ظاهرة لسانية طبيعية فرضها التداخل القبلي والتحولات الديموغرافية في الحواضر العربية.

٢. العلاقة التفاعلية بين اللحن واللهجة: كشفت النتائج عن أبعاد لسانية متداخلة بين مفهومي "اللهجة" و"اللحن"؛ إذ تبنى الاستعمال الشفاهي اليومي أنماطاً للتخفيف التسهيلي عدّها النحاة

المتقدمون لحناً. وتكشف هذه الظاهرة عن ثنائية مستويات الاستعمال اللغوي في البيئة العربية، والمتمثلة في "مستوى الخاصة المعياري" و"مستوى العامة الشفاهي".

٣. الوظيفة الكشفية للتصويب اللغوي: ثبت لسانياً أن حركات التصويب اللغوي والتأليف في "لحن العامة" أسهمت –من حيث لا تقصد– في استكشاف ظواهر لهجية قديمة؛ إذ اتضح أن كثيراً من الألفاظ التي وُصمت بالانحراف واللحن عن الفصحى المعيارية إنما هي في أصلها خصائص لهجية عربية أصيلة.

٤.لا يجزم البحث بوجود "سببية أحادية قطعية" لظاهرة اللحن، ويطرحها بوصفها محصلة لتفاعل مركب بين احتمالات عدة؛ تجمع بين سنّة التطور اللغوي الداخلي المستمر من جهة، وتراكمات الاتصال اللغوي المبكر واللاحق من جهة أخرى. وتتماشى هذه النتيجة مع طبيعة الأحكام النسبية في اللسانيات التاريخية التي ترى في التغير اللغوي ظاهرة تشكّلها عوامل اجتماعية وجغرافية وبنيوية متعددة المتغيرات.

٥. أهمية المقاربة التداولية لمدونات "لحن العامة": أدى غياب نظرية لسانية متكاملة تفسر نشأة العربية الفصحى وعلاقتها باللهجات المترتبة عليها إلى اضطراب في تصنيف المفردات وتحليل دلالاتها. وتوصي الدراسة بإعادة قراءة التراث اللغوي وفق منظور تداولي يتعامل مع كتب "لحن العامة" بوصفها وثائق تاريخية ترصد التطور اللغوي والاجتماعي، لا مجرد مدونات لرصد الأخطاء والتجاوزات المعيارية.

٦. **استثمار اللسانيات المقارنة والبعد التداولي:** يقتضي فهم التحولات اللغوية في شبه الجزيرة العربية مراعاة السياقات الفكرية والحضارية لمنطقة الدراسة، فضلاً عن توسيع نطاق الدراسات اللغوية المقارنة مع اللغات السامية والمحيطة؛ للنهوض بالتاريخ اللغوي وتجنب عزل العربية عن أبعادها البيئية والزمانية.

٧. الاتساع المعجمي في النص القرآني والحديث النبوي: يُعد ورود مفردات تنتمي لعدة لهجات عربية في القرآن الكريم، إلى جانب استخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأساليب وتراكيب بيانية لم تألفها بعض الشفاهيات العربية، دليلاً لسانياً قاطعاً على اتساع الرصيد المعجمي للعربية ومرونتها، بعيداً عن أطر اللحن الضيقة.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

الأسد، ناصر الدين .(١٩٥٦م) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية .ط١.القاهرة : دار المعارف.

الأنصاري، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور. (١٩٩٧م). لسان العرب. ط٣. دار صادر.

الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (١٣٨٤هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة : دار الكتب المصرية.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دارالفكر.

انيس، الدكتور ابراهيم. (١٩٩٢م). في اللهجات العربية. مكتبة الانجلو المصرية. ط٨. القاهرة: د.ن.

ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس. الصاحبي. (د.ت). تحقيق : السيد احمد صقر. مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٤٠١هـ). العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة. مراجعة: د. سهيل زكار. ط١. بيروت: دار الفكر.

باقر، طه. (٢٠١٢م). مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة. مكتبة مؤمن قريش. ط٢. بيروت: دار الوراق.

البخاري الجعفي، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه. (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء: د. محمد زهير الناصر.ط١. بيروت: دار طوق النجاة.

الجواليقي، ابو منصور موهوب احمد بن محمد بن الخضر. (١٤١٩هـ). المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . وضع حواشيه وعلق عليه : خليل عمران المنصور.ط١.بيروت: دار الكتب العلمية.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت. (١٩٩٣م).معجم الادباء. تحقيق :د. تمام حسان.ط١.بيروت.دار الغرب الاسلامي .

حسين، طه. (١٩٢٦م). في الشعر الجاهلي. تونس: دار المعارف للطباعة والنشر.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (١٤٠٣هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. تحقيق :د. محمود الطحان. ط١.الرياض: مكتبة المعارف.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (١٩٧٤م). تقييد العلم. تحقيق : يوسف العش. بيروت: دار إحياء السنة النبوية.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد. (١٤١٢هـ). سنن الدارمي. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.ط١. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٤٠٥هـ). سير أعلام النبلاء. تحقيق: حسين أسد. ط٣. بيروت :مؤسسة الرسالة.

الراجحي، الدكتور عبده. (١٩٩٦م). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. مصر: دار المعرفة الجامعية.

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر. (١٣٥٦هـ). تأريخ آداب العرب (اللحن وأوليته). مصر : دار الكتاب العربي.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (١٣٧٦هـ). البرهان في علوم القرآن. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١. مصر : دار إحياء الكتب العربية.

الزبيدي، ابو بكر محمد بن حسن بن مذحج. (٢٠٠٠م). لحن العوام. تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب. ط٢. مكتبة الخانجي.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (١٩٦٥ق). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: جماعة من المختصين. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي. (١٤١٤هـ). الفصول المختارة. تحقيق: السيد علي مير شريفي. ط٢. بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت.

سيبويه، عمرو بن عثمان أبو بشر.(١٩٨٨م).الكتاب.تحقيق:عبد السلام محمد هارون.ط٣.القاهرة.مكتبة الخانجي .

السيوطي، عبد الرحمن ابي بكر جلال الدين. (١٤١٨هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الضامن، الدكتور حاتم صالح. (١٩٩٠م). فقه اللغة. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد. الافاق العربية.

الطبابائي، العلامة السيد محمد حسين. (١٤١٧هـ). الميزان في تفسير القرآن. ط١. بيروت:منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

عبد التواب ، رمضان .(١٩٩٧ م) .فصول في فقه العربية . ط٦، مكتبة الخانجي .

العقيلي الهمداني المصري، ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن. (١٤٠٠هـ). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢٠. القاهرة: دار التراث.

العسكري، أبو هلال . (د.ت). الفروق اللغوية. تحقيق محمد إبراهيم سليم. ط١. القاهرة: دار العلم والثقافة.

العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. (١٣٢٧هـ). تهذيب التهذيب. ط١. الهند. حيدرآباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (١٤٠هـ). تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس. تحقيق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي. ط١. عمان: مكتبة المنار.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٩٩٣م). العين. تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت : دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (١٤٢٦هـ). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. ط٨. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الكاتب، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب. (١٣٥٨هـ). تأريخ اليعقوبي.النجف: مطبعة الغري.

الكليني، محمدبن يعقوب.(٢٠٠٧م).أصول الكافي.ط١.لبنان:منشورات الفجر.

مختار مردم، خليل احمد. (٢٠١٩م). أئمة الأدب. تراث العرب. طبعة مؤسسة هنداوي.

المجلسي، الشيخ محمد باقر. (١٤٠٣هـ). بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار : المجلسي.ط٢. بيروت : مؤسسة الوفاء .

معروف، نايف . (١٩٩٨م). خصائص العربية وطرائق تدريسها.ط٥.بيروت .دار النفائس .

النهاوندي الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي. (١٤٠٧هـ). الأمالي. تحقيق: عبد السلام هارون. ط٢.بيروت: دار الجيل.

الهاشمي ، احمد مراد (٢٠١٩)، العدول الأسلوبي في النثر العربي القديم: كتاب البخلاء للجاحظ أنموذجاً، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .

الهلالي، حميد بن ثور(٢٠٠٢م).ديوان. جمع وتحقيق: د.محمد شفيق البيطار.ط١.الكويت.السلسلة التراثية.

وافي، الدكتور علي عبد الواحد. (د.ت). علم اللغة. ط٩. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

الهاشمي البصري، محمد بن سعد بن منيع. (١٤١٠هـ). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط١. بيروت : دار الكتب العلمية.

المواقع الالكترونية :

Leiden.University LibrariesDigital Collections.(n.d).Or.298,universiteitleiden.nl. www.digitalcollections.2025,Nov21.https://digitalcollections.universiteitleiden.nl/search/or.298?type=edismax.

The foreign vocabulary of the qur`an : Arthur Jeffery ph.D ,oriental institute, Baroda , 1938 .

References

-The Holy Quran.

-Al-Ansari, Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur. (1997). Lisan al-Arab. 3rd ed. Dar Sader. 2/182. [In Arabic].

-Al-Ansari al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad. (1384 AH). Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an. Edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah. [In Arabic].

-Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad. (1979 CE). Mu'jam Maqayis al-Lughah. Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun. Cairo: Dar al-Fikr. [In Arabic].

-Anis, Dr. Ibrahim. (1992 CE). Fi al-Lahajat al-'Arabiyyah. Anglo-Egyptian Library. 8th ed. Cairo: n.p. [In Arabic].

-Ibn Sallam, Abu Ubayd al-Qasim. ( ) The Languages of the Tribes Mentioned in the Noble Qur'an. [In Arabic].

-Ibn Zakariyat, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris. Al-Sahibi. (n.d.). Edited by: Sayyid Ahmad Saqr. Isa al-Babi al-Halabi & Co. Library. Cairo. [In Arabic].

-Ibn Khaldun, Abd al-Rahman. (1401 AH). Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wa al-Barbar wa man Asarahum min Dhawi al-Sha'n al-Akbar. Text editing, footnotes, and indexes by: A. Khalil Shahada. Reviewed by: Dr. Suhayl Zakkar. 1st ed. Beirut: Dar al-Fikr. [In Arabic].

-Baqir, Taha. (2012 CE). Introduction to the History of Ancient Civilizations. Mu'min Quraish Library. 2nd ed. Beirut: Dar al-Waraq. [In Arabic].

-Al-Bukhari al-Ju'fi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail ibn Ibrahim ibn al-Mughirah ibn Bardizbah. (1422 CE). Sahih al-Bukhari. Edited by: A group of scholars: Dr. Muhammad Zuhair al-Nasir. 1st ed. Beirut: Dar Tawq al-Najat. [In Arabic].

-Al-Jawaliqi, Abu Mansur Mawhub Ahmad ibn Muhammad ibn al-Khidr. (1419 AH). Al-Mu'arrab min al-Kalam al-A'jami 'ala Huruf al-Mu'jam. With annotations and commentary by: Khalil Imran al-Mansur. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah. [In Arabic].

-Al-Hamawi, Abu Abdullah Yaqut. ( ). Mu'jam al-Udaba'. [In Arabic].

-Hussein, Taha. (1926 CE). Fi al-Shi'r al-Jahili. Tunis: Dar al-Ma'arif li al-Tiba'ah wa al-Nashr. [In Arabic].

-Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit ibn Ahmad ibn Mahdi. (1403 AH). The Comprehensive Collection of the Narrator's Ethics and the Listener's Etiquette. Edited by Dr. Mahmoud Al-Tahhan. 1st ed. Riyadh: Maktabat Al-Ma'arif. [In Arabic].
-Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit ibn Ahmad ibn Mahdi. (1974 CE). The Recording of Knowledge. Edited by Yusuf Al-Ash. Beirut: Dar Ihya' Al-Sunnah Al-Nabawiyyah. [In Arabic].
-Al-Darimi, Abu Muhammad Abdullah ibn Abd Al-Rahman ibn Al-Fadl ibn Bahram ibn Abd Al-Samad. (1412 AH). Sunan Al-Darimi. Edited by Hussein Salim Asad Al-Darani. 1st ed. Kingdom of Saudi Arabia: Dar Al-Mughni for Publishing and Distribution. [In Arabic].
-Al-Dhahabi, Shams Al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman. (1405 AH). Siyar A'lam Al-Nubala'. Edited by Hussein Asad. 3rd ed. Mu'assasat Al-Risalah. [In Arabic].
-Al-Rajhi, Dr. Abdo. (1996 CE). Arabic Dialects in Qur'anic Readings. Egypt: Dar al-Ma'rifah al-Jami'iyyah. [In Arabic].
-Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq ibn 'Abd al-Razzaq ibn Sa'id ibn Ahmad ibn 'Abd al-Qadir. (1356 AH). Tarikh Adab al-'Arab (al-Lahn wa Awliyyatuh). Dar al-Kitab al-'Arabi. [In Arabic].
Al-Zarkashi, Abu 'Abd Allah Badr al-Din Muhammad ibn 'Abd Allah ibn Bahadur. (1376 AH). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an. Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. 1st ed. Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah. [In Arabic].
Al-Zubaydi, Abu Bakr Muhammad ibn Hasan ibn Madhhij. (1420 AH). Lahn al-'Awam. Edited by: Dr. Ramadan 'Abd al-Tawwab. 2nd ed. Maktabat al-Khanji. [In Arabic].
Al-Zubaydi, Muhammad Murtada al-Husayni. (1965 AH). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus. Edited by: A group of specialists. Ministry of Guidance and Information in Kuwait. National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait. [In Arabic] .
Al-Shaykh al-Mufid, Abu Abdullah Muhammad ibn Muhammad ibn al-Nu'man al-'Akbari al-Baghdadi. (1414 AH). Al-Fusul al-Mukhtara. Edited by: Sayyid Ali Mir Sharifi. 2nd ed. Beirut: Dar al-Mufid for Printing and Publishing, 2nd ed. [In Arabic].
Al-Suyuti, Abd al-Rahman Abu Bakr Jalal al-Din. (1418 AH). Al-Muzhir fi 'Ulum al-Lughah wa Anwa'iha. Edited by Fuad Ali Mansour. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah. [In Arabic].
Al-Dhamin, Dr. Hatim Salih. (1990 CE). Fiqh al-Lughah. Ministry of Higher Education and Scientific Research. University of Baghdad. Al-Afaq al-'Arabiyyah. [In Arabic].
Al-Tababai, Allamah Sayyid Muhammad Husayn. (1417 AH). Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an. 1st ed. Beirut: Al-A'lami Publications. [In Arabic].
Al-'Uqayli al-Hamdani al-Misri, Ibn 'Aqil Abdullah ibn Abd al-Rahman. (1400 AH). Sharh Ibn 'Aqil 'ala Alfiyyat Ibn Malik. Edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. 20th ed. Cairo: Dar al-Turath. [In Arabic].
Al-Askari, Abu Hilal. (n.d.). Linguistic Differences. Edited by Muhammad Ibrahim Salim. 1st ed. Cairo: Dar al-Ilm wa al-Thaqafa. [In Arabic].

Al-Asqalani, ed. Shihab al-Din Abu al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Hajar. (d. 1327 AH). Refinement of Refinement. 1st ed. India. Hyderabad, Deccan: Al-Nizamiyya Encyclopedia Press. [In Arabic].

Al-Asqalani, Abu al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hajar. (d. 140 AH). Defining the People of Sanctification by the Ranks of Those Described as Deceptive. Edited by Dr. Asim ibn Abdullah al-Qaryuti. 1st ed. Amman: Al-Manar Library. [In Arabic].
Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad. (n.d.). Al-Ayn. Edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal. [In Arabic].
Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Yaqub. (d. 1426 AH). The Comprehensive Dictionary. Edited by the Heritage Research Office at the Al-Risalah Foundation. Supervised by Muhammad Na'im al-Arqasusi. 8th ed. Beirut: Al-Risalah Foundation for Printing, Publishing, and Distribution. [In Arabic].
Al-Katib, Ahmad ibn Abi Ya'qub ibn Ja'far ibn Wahb. (1358 AH). Tarikh al-Ya'qubi. Najaf: Al-Ghari Press. [In Arabic].
Mukhtar Mardam, Khalil Ahmad. (n.d.). A'immat al-Adab. Turath al-'Arab. [In Arabic].
Al-Majlisi, Sheikh Muhammad Baqir. (1365 AH). Bihar al-Anwar al-Jami'ah li-Durar Akhbar al-A'immah al-Athar: Al-Majlisi. Publications of the Ministry of Islamic Guidance Press. [In Arabic].
Ma'ruf, Nayef. (2007 CE). Khasa'is al-'Arabiyyah wa Tara'iq Tadarisuha. [In Arabic].
Al-Nahawandi al-Zujaji, Abd al-Rahman ibn Ishaq al-Baghdadi. (1407 AH). Al-Amali. Edited by: Abd al-Salam Harun. 2nd ed. Beirut: Dar al-Jil. [In Arabic].
Wafi, Dr. Ali Abd al-Wahid. (n.d.). 'Ilm al-Lughah. 9th ed. Cairo: Dar Nahdat Misr for Printing and Publishing. [In Arabic].
Al-Hashimi al-Basri, Muhammad ibn Sa'd ibn Mani'. (1410 AH). The Major Classes. Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta. 1st ed. Dar al-Kutub al-Ilmiyya. [In Arabic].

المصادر الأجنبية :

Goldmann, Susan. (2023). Reading Comprehension: Theory and Practice. NewYork: The Guilford Press .
-Hopkins, John. (2005). La the’orie se’miotique litte’raire de Michael - Riffaterre: Matrice, intertexte et inter pre’tant. In Cahiers de narratologio .
-Kennedy, X. J., & Gioia, D. (2013). Literature: An introduction to fiction, poetry, and drama. London: Pearson. -Riffaterre, Michael. (1983). Text Production. L.ed. New York: Columbia University Press.
Websites :
Leiden.University LibrariesDigital Collections.(n.d).Or.298,universiteitleiden.nl. www.digitalcollections.2025,Nov21.https://digitalcollections.universiteitleiden.nl/search/or.298?type=edismax.